جماليات الطبيعة في شعر سعدي يوسف

م. د حازم محمد نجم

جامعة الشطرة، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email: Hazim.mohammed@shu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: سعدي يوسف ، الطبيعة ، الصحراء ، البساتين ، الشعر العربي.

كيفية اقتباس البحث

نجم ، حازم محمد، جماليات الطبيعة في شعر سعدي يوسف، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٢

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The aesthetics of nature in the poetry of Saadi Youssef

Hazim Mohammed Najm
Shatra University - College of Education for Girls

Keywords : Saadi Youssef, Nature, Desert, Orchards, Arabic Poetry.

How To Cite This Article
Najm, Hazim Mohammed , The aesthetics of nature in the poetry of Saadi Youssef ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2025,Volume:15,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Nature in Saadi Youssef's poetry is a means of expression, through which he expresses his thoughts, feelings and emotions, so it was the source of his inspiration. So he symbolized the desert, palm trees, orchards, birds and all kinds of nature, to reach his goal and deliver to the recipient what is inside him. His poetry pieces were full of intellectual flashes and suggestive symbols, so he was able by metaphorical transmission to liken the sensual to the moral and mix reality and imagination to present a clear picture to the reader.

Because nature poetry at the advent of Islam was rather weak, because the poet's view of the environment and the universe had changed, Islam gave an explanation for everything in nature so that man no longer faced the universe and what is in it with his innate feeling. The village became for Saadi Youssef the beginning and the first source of describing nature in his poetry. The poet employed nature in an artistic way that helped to find its symbols, dimensions and connotations with poetic power and influence, as the poem suggests a "symbolic connotation." Critics considered the desert a type of silent nature that poets were interested in from the pre-Islamic era to the modern era. Saadi Youssef was able to blend reality and imagination to present a new image to the

recipient, because imagination derives its primary elements from life itself, then reassembles them in a new and different way.

الملخص:

تعد الطبيعة في شعر سعدي يوسف وسيلة للتعبير، وبواسطتها يعبر بها عما يجول بخاطره ، وما تجيش به نفسه من أحاسيس ومشاعر ، فكانت هي مصدر الهامه ، لذلك رمز بالصحراء وبالنخيل والبساتين والطيور وكل أنواع الطبيعة، ليصل لمبتغاه ويوصل للمتلقي ما هو كائن في داخله ، ومقطوعاته الشعرية كانت حافلة بالومضات الفكرية والرموز الإيحائية ، فاستطاع بواسطة النقل المجازي أن يشبه الحسي بالمعنوي ويمزج بين الواقع والخيال ليقدم صورة واضحة المعالم للقارئ.

لان شعر الطبيعة عند ظهور الإسلام بل ضعف ، لأن نظرة الشاعر حول البيئة والكون قد تغيرت ، فأعطى الإسلام تفسيراً لكل شيء في الطبيعة بحيث لم يعد الإنسان يواجه الكون وما موجود فيه بإحساسه الفطري أصبحت القرية لدى سعدي يوسف هي البداية والرافد الأول لوصف الطبيعة في شعره .وظف الشاعر الطبيعة بطريقة فنية ساعدت على ايجاد رموزها وأبعادها ودلالاتها ذات قوة وتأثير شعري ، فالقصيدة توحي ب" دلالة رمزية.عدّ النقاد بأن الصحراء نوع من أنواع الطبيعة الصامتة التي أهتم بها الشعراء من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث.استطاع سعدي يوسف أن يمزج بين الواقع والخيال ليقدم صورة جديدة للمتلقي ،لأن الخيال يستمد عناصره الأولية من الحياة نفسها ، ثم يعيد تركيبها بشكل جديد ومغاير.

المقدمة:

تناول شعراء العرب الطبيعة بشكل كبير في قصائدهم ، فوصفوها وصفاً دقيقاً وجميلاً ، فكانت الطبيعة بالنسبة للشاعر الملهم الأول له ، لذلك لم تخلو دواوينهم من معالم الجمال الموجود في الجزيرة العربية ، فالطبيعة نوعان كما صنفها النقاد طبيعة صامتة مثل الجبال والأنهار والبيوت والأطلال وكذلك الليل والسماء والنجوم والبرق والأمطار ، والطبيعة المتحركة مثل الجمال والخيول والطيور ، فاستعمل الشاعر هذه الأنواع بصورتين مباشرة مرة وغير مباشرة مرة أخرى ، والطبيعة عند الأدباء " موضوع أثير ومتجدد مع الأزمنة رائج في المذاهب النثرية والشعرية ، كما هو شائع في الرسم ، تناول الأدب وأستفاض فيه ، وعبر عنه تعبيراً صنيعاً بارداً أو استغرق فيه وحوله إلى كائن حتى يتفاعل مع صاحب أثر ويندمج معه " [١] ، فالشاعر في كل زمن أدرك معالم الجمال في بيئته وحاول أن يصورها بأبيات شعرية أو يحاكي الطبيعة ، وهذا يحيلنا لقول أرسطو في الشعر حين قال أنه محاكاة " أي محاكاة الطبيعة ، وواقع الحياة بشتى الوسائل التي تمتلكها الفنون المختلفة " [٢]، وتأثير الطبيعة على الشعراء يختلف من شاعر

لأخر وذلك لسببين الأول: اختلاف بيئة وزمن شاعرعن شاعر آخر والثاني : " الهام الطبيعة الناس يختلف باختلاف أمزجتهم ، ومراكزهم في الحياة ،وأحوالهم من الصحة والمرض والغنى والفقر ،طبائع نفوسهم المتفاوتة بين الرضى والثورة وبين الطاعة والتمرد "[٣] ، وبالتالي يختلف الشعراء في تصويرهم للطبيعة ، فتأثر الشاعر الأندلسي في المغرب العربي ذات الطبيعة الخلابة يختلف عن شاعر المشرق العربي الصحراوية القاسية ، وحتى في نفس البيئة يختلف شعر شاعر مضطهد عن شعر شاعر مترف .

المبحث الأول

مفهوم الطبيعة في الشعر العربي :

العصر الجاهلي : تغنى الشعراء في العصر الجاهلي في الطبيعة لحد كبير ، فاستطاعوا أن ينتجوا صورا فنية غاية في الأبداع والجمال ، حتى أصبح وقوفهم على الديار والأطلال مقدمات لا يمكن لأي شاعر أن يبدأ قصيدته إلا بالوقوف على الأطلال ، والأطلال نوع من أنواع الطبيعة الصامتة التي بكاها الشعراء في العصر الجاهلي ، و" أول من لطف المعاني ، وأستوقف الطلول ، ووصف النساء بالضباء والمها البيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى"[٤] هو أمرؤ القيس فقال :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل [٥]

رسم الشاعر الطبيعة بلون جاذب للمتلقي ، فتناول الخصائص البارزة فيها ، من الطيور والخيل والليل ، فكانت هذه الألوان التي تتلون فيها الحيوانات والأعشاب مثيرة لنفس الشاعر ومن الظواهر الطبيعية التي تأثر بها الشاعر الجاهلي هو مجئ الليل:

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثلي
وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي [٦]

وهذه الأبيات مقتطعة من قصيدة طويلة لأمرئ القيس وهو يكابد الحزن خلال فترة الليل ، ويشبهه بأمواج البحر الهائج ويتمنى أن يزول سريعاً ، ، وهكذا أخذ الليل يستعمل في أغلب القصائد الجاهلية ، حيث " وجد الشاعر الجاهلي في الليل سعة ومندوحة للحديث عن النساء واللهو بهن أو صدودهن أو هجرهن ،... لاينفك أمرؤ القيس يصف مغامراته ليلا في مطولته (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي)، فسمتها سمة المعلقة" [٧].

ومن الشاعرات اللواتي قاسين حزن الليل هي الخنساء عندما فقدت أخوها صخراً ، وباتت الليل وهي ساهرة تنظر النجوم وترعاها :

يـاعين جـودي بـدمع منـك مغـزار وأبكـي لصـخرٍ بـدمع منـك مـدرار
أنـي أرقـت فبـت الليـل سـاهرة كأنمـا كحلـت عينـي بعـوّار (٨)

وصفت الشاعرة حالها وعبرت عن أحاسيسها وعواطفها ، فكانت لفقد أخاها أثر في الشعر الذي تقول فيه ، والليل أكثر وقت تهدأ به الأصوات فتأتي الذكريات للشخص الفاقد عزيزاً ، فما كان من الخنساء إلا أن تحول هذا الوجد والشوق لأبيات مشحونة بألم الفراق .

أما جمال طبيعة الجزيرة العربية كذلك أنعكس على شعر الشعراء في ذلك الزمن " ففيها الرياض ، كما يذكر ياقوت مائة وست وثلاثون روضة ، سميت بهذا الاسم ، لاستراحة الماء فيها وهي تكون مطمئنة ، يسيل إليها ماء السيول فيسريض فيها، فتنبت ضروب من العشب والبقول ويسرع اليها الذبول واذا عشبت الرياض وتتابع عليها الوسمي ريعت العرب بنعمها جميعاً" (٩)

فقال النابغة الذبياني الذي يعد من فحول الشعراء يصف الناقة:

فسـليت ماعنـدي بـروح عـرمس تخـبّ برحلـي تـارةً وتنـاقلي (١٠)

ذكر الشاعر صلابة الناقة من خلال رثائه النعمان بن الحارث عندما وقف علة أطلال دياره.

وكذلك وصف الأعشى ناقته كأنها الحمار الوحشي:

وشـملّة حـرف كـأن قتودهـا حللتـه جـون السّـراة خفيـددا
وكأنهـا ذو حـدّه نحـبّ السـرى أو قـارح يتلـو غـائص جـدّدا (١١)

أي أن راحلته مملوءة سمينة ونشيطة ، وهذا ما اعتاد عليه العرب في مدح خيولهم ونوقهم ، لكن الشعراء ليسوا جميعهم على مستوى واحد في تعاملهم مع الطبيعة ، لاسيما شعراء المدن في لوحات الناقة واللوحات الطللية ، لبعد هؤلاء عن حياة الصحراء ، فكان وروود الخيل والناقة والطلل متمماً فنياً لما يعتقدون / وضرورة مسايرة الشعر العربي السائد في البيئة الصحراوية العربية (١٢)

العصر الأموي والإسلامي

لان شعر الطبيعة عند ظهور الإسلام بل ضعف ، لأن نظرة الشاعر حول البيئة والكون قد تغيرت ، فأعطى الإسلام تفسيراً لكل شيء في الطبيعة بحيث لم يعد الإنسان يواجه الكون وما موجود فيه بإحساسه الفطري ، بل يتعامل مع الأشياء من منطق العقل وما تأمره عقيدته الإسلامية التي جاء بها الرسول الكريم (ص) (١٣) ، لذلك اصاب الشعر الجمود وتعامل الشاعر المسلم مع الطبيعة من زاوية الرؤية الدينية وانعكاسها عليه .

أما العصر الأموي فقد أشتهر شعراء الفرسان بوصفهم للطبيعة حيث " وصفوا الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة ، أنه شاعر طبيعة ، وذلك لكثرة تأملاته بها ، فهو يتخذها مصدراً للتنفيس عن آلامه وأحزانه"(١٤) ، ورغم فتور المقدمة الطللية الا أن شعراء العصر الأموي لازالوا على سنة آبائهم في استلهام الصحراء ، فهو يتحدث عن الصحراء وعن قوة ناقته ، ومن شعراء الفرسان كعب بن معدان الأشعري حيث قال في وصف الطبيعة الصامتة :

سلّم على الطلل المحيل الدائر ... وسل المنازل هل بها من خابر
هل بالديار لسائل من عامر ... بعد الأنيس وبعد هضب السامر
أقوت وغيّر رسمها من بعده ... هوج الرياح وكل دوٍ ماطر(١٥)

وهنا سار الشاعر على نهج الشعراء الأقدمين في تناوله الطلل والوقوف على الديار وبذلك تحولت الوقفة الطللية إلى ضرورة فنية يفتتحون بها قصائدهم في العصرالأموي " ومن الملاحظ على تعامل الشاعر الإسلامي مع الطبيعة هو أنه أصابه بعض الفتور ، لاسيما في تعامله مع المقدمات الطللية ويعود ذلك إلى أسباب مهدت مسبقاً له ، لعل أبرزها كونه امتداداً للجمود الذي صاب الافتتاحية في نهاية العصر الجاهلي مع ميل حياة العرب إلى الاستقرار وتسلل مظاهر التمدن إليهم ، وقد أثر الشعراء المتكسبون في ذلك بتحويلهم الوقفة الطللية إلى ضرورة فنية يفتتحون بها مدائحهم التكسبية " (١٦) .

ومن مظاهر الطبيعة الأخرى التي ذكرت في الشعر الأموي الأمكنة المائية ، والتي لاتتعدى عندهم الحفر المائية (الغدير) أو الآبار التي يحفرونها بأيديهم ويستخرجون الماء للشرب وغيره ، لكنها ذا وقع كبير في نفوسهم ، وقال قيس بن الملوح شعراً يبكي فيه الأماكن التي هدمت واندثرت :

ألا يا ركيات الرّيس على البلا ... سقينّ هل في ظلكن شجون
أضر بكن العام نوء سحابةٍ ... ومحل فيما تجري لكن عيون
اجنتن بعد الحي نصاحت اللوى ... وكنتن عهدي مايكن أحون (١٧)

الأبيات تدل على جزع الشاعر عندما رأى الطبيعة قد فقدت جمالها الخلاب ، والشاعر " يتساءل بأسلوب انكاري (هل في ظلكن شجون) ، فهو يريد الجواب لهذا السؤال بقدر مهو لايود تصديق الأمر بأي حال من الأحوال ، مبرراً لتغير حالها ويربطه بتغير الزمن ، فذلك المكان كان جميلاً ينبض بالحياة في الزمن الماضي ، قبل أن يتركه أصله ، أما الآن فهو متغير اللون والرائحة وفاقداً لشروط الحياة لأن أصحابه مذ تركوه ، الأمر الذي أدى إلى انصداع تلك

المناطق المجاورة له ، أن الشاعر هنا أحس بأن هذا المكان قد هرب منه ، فنظر إليه بمنظار زمني ، لأن هذا المكان قد فلت كما يفلت الزمن من بين يدي الإنسان" [١٨]

العصر العباسي

في العصر العباسي تحولت الحياة إلى أكثر استقرار ، فعم التحضر وأزدهر التمدن ، وكان الشاعر العباسي يصف الطبيعة الصامتة أكثر من المتحركة ، وذلك لكثرة القصور والعمران ، لكن مع ما موجود من تقدم في البلاد العربية بقي الشاعر يحن لحياة الصحراء ويصورها تصويراً دقيقاً ، ويمثل هذا النوع من الشعراء الشاعر البحتري ، حيث رسم لنا لوحة صور فيها معركة تدور بينه وبين ذئب جائع في الصحراء :

وأطلس ملء العين يحمل زورها ... وأضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره ... ومتن كمتن القوس اعوج منئد
طواه الطوى حتى أستمر مريره ... فمافيه إلا العظم والروح والجلد
كلانا به ذئب يحدث نفسه ... بصاحبه والجد يتعسه الجدّ [١٩]

بدأ الشاعر القصيدة بمقدما طللية لم نذكرها هنا يصف مشاعره الحزينة ، وبعدها صور لنا معركته مع الذئب و" قصيدة (وصف الذئب) للبحتري من أربعة عناصر رئيسة ، وكل عنصر فيها يمثل صراعاً مختلفاً ، فنجد العنصر الأول يمثل الطلل حيث بدأت القصيدة بمقدمة طللية حزينة تدور حول حبه لامرأة قد أحبها تسمى (علوة بنت زريقة) والشاعر يحتار بين أمرين هما : الأول الهجر والثاني : الوصال ، ثم يتحدث العنصر الثاني بأخواله من بني واصل وبني الضحاك ، وهي علاقة يشوبها الخصام والتهديد ، ثم يأتي العنصر الثالث عبر وصفين : الأول الصراع بين الذئب والإنسان حتى أنتهى الصراع بقتل الإنسان الذئب ، والآخر : محاولة الإنسان شواء الذئب وأكل بعضه " [٢٠] ، فالقصيدة اصطبغت بالصبغة الجاهلية على الرغم من وجود الشاعر في أحضان الطبيعة العباسية المختلفة كثيراً عن طبيعة العصر الجاهلي .

الشعر الأندلسي

تعد الطبيعة في الأندلس من أبرز ما تضمنته قصائد الشعراء ، ولانبالغ لو قلنا لايخلو ديوان شاعر من شعراء الأندلس من وصف الطبيعة ، لأنها من أجمل البلدان ، فقد حباها الله بطبيعة خلابة وساحرة ، لذلك أصبحت مرتعاً ينهل منه الشعراء ليزنو به قصائدهم ، وكما وصفها ابن خفاجة بقوله :

يا أهل أندلس لله دركم ... ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد إلا في دياركم ... ولو تحيّرت هذا كنت أحتار [٢١]

فضل الشاعر طبيعة الأندلس على الجنة لشدة جمالها ، وهذا الاختيار ماهو تأكيد على جمال الطبيعة في بلاد الأندلس ، وكذلك مزج الشعراء الطبيعة بالحب ، أي نظروا إليها من منظار ذكريات النجوى وعاطفة الحب العذري ، وخير من مثل هذا النوع الشاعر ابن زيدون ، الذي أحب الشاعرة ولادة بنت المستكفي ، فجعلها معادل موضوعي مع الطبيعة :

إنـي ذكرتـك فـي الزهـراء مشـتاقاً والأفـق طلـق ووجـه الأرض قـد راقـا
وللنسـيم اعـتلال فـي اصـائله كأنـه رق لـي فأعتـل إشـفاقا (٢٢)

مزج الشاعر بين حبيبته والطبيعة والذي أراد أن يؤكد حبه لها بذكر مدينة الزهراء الجميلة التي كانت تتمتع بأرض ضاحكة وسماء صافية وطبيعة باسمة ، كل ذلك ذكرني بك ، وكانت ولادة شاعر معروفة ، حيث أن الشعر لايقتصر على الرجال ، وأنما " نبغ منهن شواعر يكدن يضاهين الشعراء عدداً ، وكان منهن طبقة من المحسنات البارعات ، كولادة بنت المستكفي وتلميذتها مهجة القرطبية وحمدة بنت زياد المؤدب المعروفة بخنساء المغرب وحفصة بنت الحاج الرّكونية ، وعائشة بنت أحمد القرطبية ونزهون القلاعية الغرناطية ... وكن جميعاً موصوفات بالجمال "(٢٣)، وهذا العدد والكثرة للشاعرات في المغرب العربي يدل على وجود مساحة من التحرر للمرأة أكثر من الشرق.

المبحث الثاني

الطبيعة في شعر سعدي يوسف

يعد سعدي يوسف من شعراء العصر الحديث الكبار ، الذين تأثروا بالشعر العربي القديم ، حيث كان سعدي مولعاً بشعر أمرئ القيس ويعتبره مثله الأعلى ، كما أحب شعر السياب الذي قال عنه "أن السياب مرجعية شعرية لي ، وما زلت اعتبره معلمي في الشعر فعلاً"(٢٤) ، فكان شعره مشابهاً لشعر السياب حتى أصبح مدافعاً شرساً عن الشعر الحر ، فعندما أثيرت قضية الشعر الحر ةغموضه ، فقال لابد من التجديد في الشعر وإيجاد أشكال شعرية بموستوى عالٍ وأكثر تحرراً وهذا لايكون إلا في الشعر الحر بمفهومه الجديد والمتجدد ، ولانحسب الترجمات الرديئة من اللغة الفرنسية لها علاقة بقصيدة النثر (٢٥) .

فسعدي يوسف شاعر من الطراز الأول وهذا ما أكده الكثير من النقاد ، وقد قال عنه كمال أبو ديب " لقد أسهم شعر أدونيس وسعدي يوسف على وجه الخصوص في تشكيل بنية معرفية جسدت تحولات جوهرية في شعر الحداثة رؤيوياً ولغوياً وأصبح الشعر لتشكيل هذه البنية يصدر بصورة قد تفوق درجة اللاوعي فيها مقدار الوعي ، لقد أفرزت هذه البنية المعرفية لهجة شعرية

جديدة ،أصبحت منبعاً رئيساً للهجة الشعر في المراحل الزمنية التالية" [٢٦] ،استطاع سعدي أن يصور لنا الطبيعة تصويراً دقيقاً وكانت البيئة التي ولد فيها بيئة ريفية قريبة على بيئة السياب في البصرة ، لذلك أصبحت رافد من روافد الصورة عنده رغم انتقاله للمدينة التي عدها غربة ،" فشكل سعدي صورة الريف من خلال ما يستمده من عينيات ماثلة في البيئة الريفية التي يسترجعها عبر شريط الذكريات بصورة ارتدادية ، فتمنحه طبيعة القرية بكل مظاهرها بعضاً من وداعتها فتعبد له الطريق بالخضرة والرائحة الطيبة "٤ ، لذلك أصبحت الأمكنة الطبيعية التي صورها الشاعر في قصائده هي نتاج ماترسخ في ذهنه أيام الطفولة ، فأصبحت القرية هي البداية والرافد الأول لوصف الطبيعة في شعره .

البساتين

أغلب المنازل في المناطق الريفية يوجد فيها حدائق كبيرة تسمى هذه الحدائق (بساتين) ، فالشاعر يسترجع حياة الطفولة والبساتين والنخيل العالي عبر خيط الذكريات الغائرة في الأعماق:

ماذا تخبئ أيها البستان

إني لأبحث في الدجى النعسان

عن زهرة ،وحمامتين ، ونخلة ، وشجيرتي رمان

إني هنا أصغي ...

كأن الباب أغلق ....

وارتمت في العتمة الألوان

السور أخضر أيها البستان

وعلى بحار العشب يعبر فارس الأحزان

أواه .... يا بوابة البستان

من يفتح الفردوس للإنسان ؟ [٢٧]

وظف الشاعر الطبيعة بطريقة فنية ساعدت على ايجاد رموزها وأبعادها ودلالاتها ذات قوة وتأثير شعري ، فالقصيدة توحي ب" دلالة رمزية ، لكن استخدام الشاعر لها لن يكون له قوة التأثير الشعري مالم يضف إلى ذلك أبعاد جديدة هي من كشفه الخاص " [٢٨] ، فكلما كان الشاعر مستخدماً لغة جديدة وحية كان فضاء أوسع في التعبير عن خبايا نفسه وأسرارها ، والشاعر في القصيدة أعلاه استطاع أن يرمز لتشوقه المطلق البعيد من خلال الطبيعة وأحلامه في بستانه القديم الذي نشأ فيه ، و" ارتباط مفهوم الرمز بفلسفة الحلم التي أهتم بها الرومانسيون في البداية

منحوها قيمة كبرى ، وخاصة على يد الكاتب والفيلسوف الألماني هيردر ( ) ألا أنهم ظلوا يتحركون على سطوح الظاهرة دون الأعماق التي بلغها الرمزيون الين استفادوا من ترتث الرومانسية ونظريات فرويد في معالجة الحلم ، الذي غدا عندهم ضرباً من الممارسة الصوفية ، ومبعثاً للخيال ، وعد عند بودلير معادلاً للرؤية وأداة لاقتناص الرمز المعقد "([٢٩]) وجعله يشع دلالات لدى المتلقي.

وقال في قصيدة أخرى عنونها ب(النهر (والتي تنتمي لمجموعته الشعرية (فصائد مرئية):

نهرٌ من الريحان

والورد والرمان

يمتد حتى بيته المغلق

حتى جذور النخل والبستان

والقمر السهران والأحزان والزورق

يانهر ، والفضّة تطفو على

أمواجك الخضر فلا تغرق

والفجر من سلته ناثرٌ

دفئاً وعنقود سنيً نديان ([٣٠])

وردت الفاظ مكانية (البستان ، النهر) اتسمت بطابع جمالي رمز الشاعر فيها إلى حبيبته من خلال الفاظ الطبيعة ، دالاً على الأحداث التي مرت به والتي مثلت الحلم الجميل بالنسبة له ، فوظيفة الرمز يعد " معبراً آخر للشعراء ، لتوحيد الذات بالعالم والتعبير عن دلالات تجربتهم باستبطانهم لطاقات هذا الرمز وشحنه بحمولات شعورية وفكرية جديدة" ([٣١])، فمخيلة الشاعر المصطبغة بصبغة الطبيعة استطاعت أن تعطي الأماكن رموزاً دالة على واقعية محسوسة ، فقال في قصيدة أخرى رمز فيها عن غربته :

ياغصني

سوف تقول وداعاً الآن للأم

ويا أنت المتمرد

لن يجديك نمردك اليوم

يا أغصان تائهة عن شكل الشجر

ستتيهن بعيداً..([٣٢])

عنوان القصيدة (الحطاب) يوحي هذا العنوان ويضئ ما يريده النص ، فكلمة الحطاب دلالة على القطع ، والشاعر رمز به على ابتعاده عن وطنه واحبابه ، لأن العنوان " يمدنا بزادٍ ثمين لتفكيك النص ودراسته ، ونقول هنا أنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ماغمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنام ويعيد إنتاج نفسه ، فهو إن صحت المماثلة بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي يبنى عليه غيره وأنه ما إن يكون طويلاً فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه وإما أن يكون قصيراً وحين إذن فأنه لابد قرائن فوق معنوية توحي بما يتبعه " (٣٣) وللقارئ دور في فك رمز والعنوان والنص.

الصحراء

عدّ النقاد بأن الصحراء نوع من أنواع الطبيعة الصامتة التي أهتم بها الشعراء من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ، فالشاعر الحديث لازال يحن لطبيعة الأجداد والفرد العربي بصورة عامة ، لازال تحركه العادات السابقة فنجد الحزازات والتناحر والنعرات الطائفية متفشية داخل مجتمعنا الحالي ، وماهي إلا امتداد لما كان سائداً في شبه الجزيرة العربية ، والشاعر فرد من هذا المجتمع لازالت ذاكرته تسترجع ماكان عليه العرب ، ويترجم ذلك سعدي يوسف في قصيدة (يوميات اسير القلعة):

نحن لن ننجو من الصحراء

حتى لو نزعنا جلدنا

حتى لو نمنا طويلاً تحت أطباق الجليد (٣٤)

شكل الشاعر هذه الصورة ليبين مدى توغل عادات الصحراء في اعماق النفس العربية ، فأضفت هذه العادات مؤثرات عديدة على صورة الشعراء فبرزت الصحراء في كثير من قصائد الشعراء.

استطاع سعدي يوسف أن يمزج بين الواقع والخيال ليقدم صورة جديدة للمتلقي ف" الخيال يستمد عناصره الأولية من الحياة نفسها ، ثم يعيد تركيبها بشكل جديد ومغاير ، لكنه يتناسب وماهو موجود حقاً في الطبيعة ، فإذا ماخرج الخيال من هذه الحدود أنقلب إلى وهم " (٣٥)

ففي قصيدة عنونها ب(أغنية للرياح الخمس) رمز فيها إلى الصراع الفكري عنده وجعل الصحراء مرآة عاكسة لأوجاعه وآلامه :

الريح في الصحراء رمل في الحياة

وعلى وجوه النسوة المترقبات وفي المقاهي

أهدأ ... فإن الساعة العشرين أدركت المزارا

الريح في الصحراء ، والنجم المخمس في الجباه

ياريح ، ياصحراء ، من القى بنا عبر الصحارى ؟

من غلق الأبواب دون جناح طائر؟

دون ارتعاش زهرة ، وحروف شاعر

من قال للأطفال عبرنا من هنا : موتو انتظاراً

المدفع الرشاش زهرتنا ، وجنتنا المقابر ([٣٦])

ربط الشاعر حياته المتمثلة بالسفر والمنفى والغربة برمزية الصحراء ، وكي يصور لنا مشاعره وانفعالاته لجأ إلى الصورة الرمزية والتي تمثل " نقلاً مجازياً رمزياً، يقوم على مشابهة الحسي بالمعنوي ، أي كون الرسم (الحسي) للصورة رمزاً للمعنوي ، تظهر مرجعيته كتجربة علاقات ومراسلات بين العالمي والداخلي والخارجي للأديب " ([٣٧]) ، فالشاعر رمز بالصحراء عن الصراع الذي واجهه والذي يعيد له حلم العودة والهروب من المكان.

الخاتمة :توصل البحث لعدة نتائج أهمها :

١- تغنى الشعراء في العصر الجاهلي في الطبيعة لحد كبير ، فاستطاعوا أن ينتجوا صورا فنية غاية في الأبداع والجمال

٢- لان شعر الطبيعة عند ظهور الإسلام بل ضعف ، لأن نظرة الشاعر حول البيئة والكون قد تغيرت ، فأعطى الإسلام تفسيراً لكل شيء في الطبيعة بحيث لم يعد الإنسان يواجه الكون وما موجود فيه بإحساسه الفطري

٣- أصبحت القرية لدى سعدي يوسف هي البداية والرافد الأول لوصف الطبيعة في شعره .

٤- وظف الشاعر الطبيعة بطريقة فنية ساعدت على ايجاد رموزها وأبعادها ودلالاتها ذات قوة وتأثير شعري ، فالقصيدة توحي ب" دلالة رمزية.

٥- عدّ النقاد بأن الصحراء نوع من أنواع الطبيعة الصامتة التي أهتم بها الشعراء من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث.

٦- استطاع سعدي يوسف أن يمزج بين الواقع والخيال ليقدم صورة جديدة للمتلقي ،لأن الخيال يستمد عناصره الأولية من الحياة نفسها ، ثم يعيد تركيبها بشكل جديد ومغاير.

هوامش البحث:

[١] – المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار الملايين ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص١٦٣ .

[٢] – فن الشعر ، محمد مندور ، دار القلم ، القاهر ، ص٢٤.

[٣] – شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل ،أطروحة دكتوراه في الأدب ، جامعة الجزائر ،١٩٤٤: المقدمة.

[٤] – تاريخ أداب العرب مصطفى الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨، ج٣ :

[٥] – ديوان أمرؤ القيس ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨

[٦] – المصدر نفسه

[٧] – الليل في الشعر الجاهلي ، د.محمد رزاق الحسن ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة أم درمان ، السودان ، العدد ٩٣ ، ٢٠١٣: ٤٧

[٨] – ديوان الخنساء ، حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت–لبنان ،ط٢ ، ٢٠٠٤ :٥٤–٥٥ .

[٩] – الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نور حمودي القيسي ، دار الارشاد للطباعة والنشر ، بيروت : ٣٧

[١٠] – ديوان النابغة شرح وتقديم : عباس عبد الساتر ،دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ،ط٣ ،١٩٩٦ :١٩٥

[١١] – ديوان الأعشى ، شرح وتحليا محمد حسين مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية :٢١٩

[١٢] – ينظر شعر الطبيعة والوصف عند أمرى القيس ، دراسة تحليلية ، نصر الدين فارس ، منشورات دار المعارف ، حمص ، ط١ ، ١٩٨٨ :٧٥–١٠٠

[١٣] – ينظر : الطبيعة في شعر صدر الإسلام ، عبدالله منخي المشهداني ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الموصل ، ١٩٩٦: ٩.

[١٤] – الطبيعة عند شعراء الفرسان في العصر الأموي ، أنتهاء عباس عليوي ، مجلة العلوم الإنسانية العربية ، م٤،ع٢ ، الاصدار الثالث عشر ، ٢٠٢٣ : ٤

[١٥] – القيسي،٢: ٤٠٧

[١٦] – الطبيعة في شعر صدر الإسلام:١١٨

[١٧] – ديوان قيس بن الملوح ، دراسة وتعليق :يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩: ٥١

[١٨] – المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر اللأموي ، بشائر أمير الفتلاوي ، إشراف : د. هناء جواد عبد السادة ، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٣، :٥١

[١٩] – البحتري ، الديوان ، تحقيق حسن كامل الصريفي ، ج٢، ط٣، : ٧٤٠.

[٢٠] – حجاجية الخطاب الشعري عند البحتري (قصيدة وصف الذئب أنموذجاً) ،د. أحمد صلاح محمد كامل ، المجلة العلمية ، جامعة الأزهر ، ع٤٢، الاصدار الثاني ، اكتوبر ، ج٢٠٢٣،٣: ٢٠١٨–٢٠١٩

[٢١] – ديوان ، ابن خفاجة الأندلسي ، جمعية المعارف المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، :٨٥.

[٢٢] – ديوان، ابن زيدون ، شرح وتحقيق ، علي عبد العظيم ، مطبعة النهضة ، القاهرة –مصر ، ١٩٥٧ ، :٢٥٧.

[٢٣] – في الأندلس ، دكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ط٢، :٦٣.

[٢٤] – شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية ، امتنان عثمان الصمادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١: ١٥

[٢٥] – ينظر سعدي يوسف لغة المغايرة ، مجلة المدى ، دمشق ع٣–٤، السنة الأولى ،١٩٩٣: ٢.

[٢٦] – لغة الغياب في قصيدة الحداثة ، كمال أبو ديب ، مجلة فصول المصرية ،مج٨/ع٣،١٩٨٩: ٩٩.

٤– شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية :١٢١

[٢٧] – الأعمال الشعرية ، سعدي يوسف ، منشورات الجمل ، ط١ ، بغداد–بيروت ،ج١ : ٣١١

[٢٨] – الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين اسماعيل ، دار الفكر،ط٣ ، ١٩٩٤: ١٧٢.

[٢٩] – الرمز في الشعر العربي الحديث ، إبراهيم رماني ، معهد اللغة والأدب ، حوليات جامعة الجزائر ، ع٢ ، ١٩٨٧–١٩٨٨ : ٣٢.

[٣٠] – الأعمال الشعرية ، سعدي يوسف ،ج١ :٤٤٦

[٣١] – الرمز في الشعر العربي الحديث :٣٨.

[٣٢] – الأعمال الشعرية ، سعدي يوسف :ج٤: ٤٣.

[٣٣] – في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، خالد حسين ، دار التكوين ،دمشق – سوريا،٢٠٠٧: ٣٠ .

[٣٤] – الأعمال ، سعدي يوسف ، ج٤: ٢٢٦ .

[٣٥] – الصورة بين البلاغة والنقد ،بسام الساعي ، المنارة للطباعة والنشر ،جده ،ط١،١٩٨٤، ج١ : ١٧.

[٣٦] – الأعمال الشعرية ، سعدي يوسف ،ج١: ٣٨٥

[٣٧] – اللغة والأسلوب ،عدنان بن ذريل ، مرا: حسن حميد ، ٢٠٠٦ :١٢٤ .

المصادر والمراجع :

١- الأعمال الشعرية ، سعدي يوسف ،ج١ . طباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ط٢ ، ١٩٨٤م

٢- البحتري ، الديوان ، تحقيق حسن كامل الصريفي ، ط٣.

٣- تاريخ أداب العرب مصطفى الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨.

٤- حجاجية الخطاب الشعري عند البحتري (قصيدة وصف الذئب أنموذجاً) ،د. أحمد صلاح محمد كامل ، المجلة العلمية ، جامعة الأزهر ، ع٤٢، الاصدار الثاني ، اكتوبر ،٢٠٢٣

٥- ديوان ، ابن خفاجة الأندلسي ، جمعية المعارف المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٦.

٦- ديوان الأعشى ، شرح وتحليا محمد حسين مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية :٢١٩

٧- ديوان الخنساء ، حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت–لبنان ،ط٢ ، ٢٠٠٤ .

٨- ديوان النابغة شرح وتقديم : عباس عبد الساتر ،دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ،ط٣ ، ١٩٩٦ :١٩٥

٩- ديوان أمرؤ القيس ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨ :

١٠- ديوان قيس بن الملوح ، دراسة وتعليق :يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩

١١- ديوان، ابن زيدون ، شرح وتحقيق ، علي عبد العظيم ، مطبعة النهضة ، القاهرة –مصر ، ١٩٥٧.
١٢- الرمز في الشعر العربي الحديث ، إبراهيم رماني ، معهد اللغة والأدب ، حوليات جامعة الجزائر ، ع٢ ، ١٩٨٧–١٩٨٨ .
١٣- سعدي يوسف لغة المغايرة ، مجلة المدى ، دمشق ع٣–٤، السنة الأولى ،١٩٩٣.
١٤- شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل ،أطروحة دكتوراه في الأدب ، جامعة الجزائر ،١٩٤٤.
١٥- شعر الطبيعة والوصف عند أمرى القيس ، دراسة تحليلية ، نصر الدين فارس ، منشورات دار المعارف ، حمص ، ط١ ، ١٩٨٨
١٦- الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين اسماعيل ، دار الفكر،ط٣ .
١٧- شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية ، امتنان عثمان الصمادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١
١٨- الصورة بين البلاغة والنقد ،بسام الساعي ، المنارة للطباعة والنشر ،جده ،ط١٩٨٤،١،.
١٩- الطبيعة عند شعراء الفرسان في العصر الأموي ، أنتهاء عباس عليوي ، مجلة العلوم الإنسانية العربية ، م٤،ع٢ ، الاصدار الثالث عشر ، ٢٠٢٣ .
٢٠- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نور حمودي القيسي ، دار الارشاد للطباعة والنشر ، بيروت .
٢١- الطبيعة في شعر صدر الإسلام ، عبدالله منخي المشهداني ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الموصل ، ١٩٩٦.
٢٢- فن الشعر ، محمد مندور ، دار القلم ، القاهر، 2017.
٢٣- في الأندلس ، دكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ط٢.
٢٤- في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، خالد حسين ، دار التكوين ،دمشق – سوريا،٢٠٠٧.
٢٥- لغة الغياب في قصيدة الحداثة ، كمال أبو ديب ، مجلة فصول المصرية ،مج٨/ع١٩٨٩،٣.
٢٦- اللغة والأسلوب ،عدنان بن ذريل ، مرا: حسن حميد ، ٢٠٠٦.
٢٧- الليل في الشعر الجاهلي ، د.محمد رزاق الحسن ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة أم درمان ، السودان ، العدد ٩٣ ، ٢٠١٣ .
٢٨- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار الملايين ، المؤسسة العربية للطباعة.
٢٩- المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر اللأموي ، بشائر أمير الفتلاوي ، إشراف : د. هناء جواد عبد السادة ، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٣.

Sources and References:

1.Poetic Works, Saadi Youssef, Vol. 1. Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1984
2.Al-Buhturi, Diwan, edited by Hassan Kamel Al-Sarifi, 3rd ed.
3.History of Arab Literature, Mustafa Al-Rafei, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 2008.
4.The Argumentativeness of Poetic Discourse in Al-Buhturi (The Poem Describing the Wolf as a Model), Dr. Ahmed Salah Mohamed Kamel, Scientific Journal, Al-Azhar University, No. 42, Second Edition, October, 2023
5.Diwan, Ibn Khafajah Al-Andalusi, Egyptian Knowledge Society, Cairo, 2006.

6.Diwan Al-A'sha, Explanation and Analysis by Mohamed Hussein, Library of Literature, Model Printing Press: 219
7.Diwan Al-Khansa, Hamdo Tammas, Dar Al-Ma'rifa, Beirut-Lebanon, 2nd ed., 2004.
8.Diwan Al-Nabigha, explanation and introduction: Abbas Abdul Sater, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 3rd ed., 1996: 195
9.Diwan Imru Al-Qais, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maaref, Egypt, 1958:
10.Diwan Qais bin Al-Mulawwah, study and commentary: Yusra Abdul Ghani, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1999
11.Diwan, Ibn Zaydoun, explanation and investigation, Ali Abdul Azim, Al-Nahda Press, Cairo-Egypt, 1957.
12.Symbolism in Modern Arabic Poetry, Ibrahim Ramani, Institute of Language and Literature, Annals of the University of Algiers, Issue 2, 1987-1988.
13.Saadi Youssef, Language of Difference, Al-Mada Magazine, Damascus Issue 3-4, First Year, 1993.
14.Poetry of Nature in Arabic Literature, Sayed Noufal, PhD thesis in Literature, University of Algiers, 1944.
15.Nature and description poetry in Imru Al-Qais, an analytical study, Nasr Al-Din Faris, Dar Al-Maaref Publications, Homs, 1st ed., 1988
16.Contemporary Arabic poetry and its issues and artistic and moral phenomena, Izz Al-Din Ismail, Dar Al-Fikr, 3rd ed.
17.Saadi Youssef's poetry, an analytical study, Imtenan Othman Al-Samadi, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2001
18.The image between rhetoric and criticism, Bassam Al-Saei, Al-Manara for Printing and Publishing, Jeddah, 1st ed., 1984.
19.Nature in the poets of the knights in the Umayyad era, Intiha Abbas Aliwi, Journal of Arab Humanities, Vol. 4, No. 2, Thirteenth Issue, 2023.
20.Nature in pre-Islamic poetry, Nour Hamoudi Al-Qaisi, Dar Al-Irshad for Printing and Publishing, Beirut.
21.Nature in Early Islamic Poetry, Abdullah Mankhi Al-Mashhadani, PhD Thesis, College of Arts, University of Mosul, 1996.
22.The Art of Poetry, Muhammad Mandour, Dar Al-Qalam, Cairo, 2017.
23.In Andalusia, Dr. Jawdat Al-Rikabi, Dar Al-Maaref, Egypt, 2nd ed.
24.In the Theory of the Title, an Interpretive Adventure in the Affairs of the Textual Threshold, Khaled Hussein, Dar Al-Takween, Damascus - Syria, 2007.
25.The Language of Absence in the Modernity Poem, Kamal Abu Deeb, Fusul Egyptian Magazine, Vol. 8/No. 3, 1989.
26.Language and Style, Adnan Bin Dhireel, Mara: Hassan Hamid, 2006.
27.Night in Pre-Islamic Poetry, Dr. Muhammad Razzaq Al-Hassan, Journal of Research of the Faculty of Arts, University of Omdurman, Sudan, Issue 93, 2013.
28.Literary Dictionary, Jabour Abdul Nour, Dar Al-Malayin, Arab Printing Foundation.
29.Place in the Poets of Umayyad Love Poets in the Umayyad Era, Bashaer Amir Al-Fatlawi, Supervisor: Dr. Hanaa Jawad Abdul Sada, Master's Thesis, Faculty of Education, University of Babylon, 2003.